مقومات منهج الإسلام والعلاقة بينها في ضوء القرآن الكريم

للدكتور
عبد الستار محمد علي نوير
أستاذ مساعد
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
« قسم التفسير والحديث »

جامعة الكويت
مشروع البحث رقم HH00 4
مدعوم من جامعة الكويت

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، أما بعد :

فهذا البحث موضوعه وهدفه الاحاطة بجوانب الإسلام ومعرفة العلاقةبينها ، فهذا البحث مقصود لذاته ، ومقصود للرد على من يفهم الإسلام فهما منقوصاً أو مشوشاً .

وقد حملني على هذا البحث أني لم أجد من عالجه ، مع أهميته ، وقد حاولت تأصيله بقدر الإمكان ، وتنسيقه بتسلسل يشد بعضه بعضاً ، كما يظهر لمن يطالعه .

وقد اشتمل على تمهيد وثلاثة أقسام :

التمهيد : يتناول الجانب الاضطراري من حياة الإنسان ، وبيان أنه لا يتعلق به المسئولية ولا التكليف ، كما يتناول الجانب الاختياري من حياته ، وبيان أنه هو الذي يتعلق به المسئولية والتكليف بمنهج الإسلام ، ثم ذكر مقومات هذا المنهج إجمالاً تمهيداً لتفصيل القول فيها .

أما القسم الأول : فهو في تحقيق معنى الإيمان ، وذكر التعريف المشهور ، وبيان معناه ونقده ، ثم ذكر التعريف الصحيح وأدلته ، والتنويه بأهمية الإيمان ، ثم بيان أركانه ، وشرح العلاقة بينها .

القسم الثاني : يتناول ايضاح أهمية الغاية مطلقاً ، ومفهوم الغاية العليا ، وذكر افرادها ، ووجوب طلب الرضوان ومثوبة الآخرة ، ثم إيضاح علاقة ومنزلة هذه الغاية بين العقيدة والشريعة ، ثم إيضاح كيف دعا القرآن إليها وحث عليها ، لإبراز تميزها وأهميتها في الدين وعنايته بها .

القسم الثالث : تناول ذكر مقومات الشريعة مع تجلية معانيها ، وشرح علاقة بعضها ببعض وإليك التفاصيل :

التمهيد :

لحياة الإنسان جانبان :

*** أضطراري * واختياري .**

فالجانب الإضطراري : هو الذي يشعر الإنسان أنه لا يخضع لتفكيره وتدبيره ، ولا لإرادته ومشيئته ، ولا لقدرته وطاقته ، بل يحس أنه مقهور عليه نافذ فيه حتما أراد أم لم يرد ، رضى أم أبى ، علم أو جهل ، ولذلك أمثلة كثيرة :

* منها تعيين الوالدين الذين نشأ المرء منها ، وتعيين الزمان والمكان الذي ولد فيه ، وخلقه ، ذكر أو أنثى ، وتصوير بدنه ، وتقدير مواهبه ﴿ **هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء** ﴾(١) .

ومنها عمل الأجهزة الباطنية : الجهاز الهضمي – الجهاز الدوري – الجهاز العصبي .

* ومن ذلك الحوادث القهرية والابتلاء القدري بالخير والشر ، كمن صدمته سيارة وهو يسلك طريق السلامة ، وكمن هبطت عليه ثروة من حيث لا يحتسب ، كأن جاءته بطريق الميراث ونحوه .

* ومن ذلك الرزق والأجل ، ونتائج الأعمال كلها ، كما قال تعالى : ﴿ **وإلى الله عاقبة الأمور** ﴾(٢) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية رقم ٦ .
(٢) سورة لقمان : الآية رقم ٢٢ .

هذا الجانب يتولاه القدر الأعلى باستقلاله ، يتولاه بالدقة المتناهية ، والرحمة السابقة ، والحكمة البالغة .

والنتيجة المترتبة على هذا الجانب الاضطراري ، أن الله عز وجل لا يسأل الإنسان عنه ولا يحاسبه عليه .

ولكن يلزمنا أن نرضى بما قسم الله من ذلك ، ونوقن أن فيما قدر الله حكمة عليا ، قد تتجلى لنا وقد تختفى علينا ، وفي هذا الرضى والتسليم سعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، ولكن بعد أن نؤدي ما علينا ونبذل ما في وسعنا .

* * *

الثاني : الجانب الإختياري :

أي مجال الأعمال الاختيارية ، وهو يشمل كل عمل يشعر المرء أنه يخضع لتفكيره وتدبيره ، ولإرادته واختياره ، ولقدرته وقوته فيستطيع أن يفعله إذا شاء وأن يتركه إذا أراد ، ومن أمثلته :

* الإيمان والكفر : ﴿ **وقل الحق من ربك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾(٣) .

* والطاعة والمعصية : ﴿ **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها** ﴾(٤) .

* التعليم وتركه ، والإجتهاد في العلم أو التراخي فيه .

* ومنها المباحات كالأكل والشرب ، والمشي والجلوس ، والسعي على المعاش ونحو ذلك .

* * *

---

(٣) سورة الكهف : الآية رقم ٢٩ .

(٤) سورة فصلت : الاية رقم ٤٦ .

هذا الجانب هو الذي شرع الله للأنسان فيه منهج الإسلام ليسير عليه ، ويضبط سلوكه به ، ويعمل على هداه .

وهذا الجانب هو الذي تتعلق به المسئولية والجزاء .

فمن أطاع ربه فيما شرع وكلف صلحت حياته واستقامت كما إستقام الجانب الاضطراري الذي يتولاه الله ، وسعد في الحياتين : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾(٥) .

ومن تمرد وعصى اختلت حياته وفسدت ، وشقي في الدارين : ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك أياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾(٦) .

* * *

ومنهج الله الذي شرعه للإنسان يتكون من جوانب رئيسية ، نريد أن نحددها ، ثم نبين العلاقة بينها :

هذه الجوانب ثلاثة ، هي : العقيدة – والغاية العليا – والشريعة :

والعقيدة : مقوماتها خمسة كما ذكرها القرآن الكريم بقوله ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾(٧) .

والشريعة : مقوماتها – بالبحث والنظر – **خمسة ، هي** :

---

(٥) سورة النحل : الآية رقم ٩٧ .
(٦) سورة طـه : الآية رقم ١٢٤ – ١٢٦ .
(٧) سورة البقرة : الاية ١٧٧ .

العبادات – والأخوة أو الوحدة – والخلق – والتشريع – والدعوة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيكون المجموع مع الغاية أحد عشر مقوما ، هي الإسلام سوى مصدرية من الكتاب والسنة .

ومهمتنا الآن أن نبين هذه المقومات بإيجاز ثم نوضح العلاقة العلمية بينها :

* * *

أولاً : الإيمان : لابد هنا من تحقيق معنى الإيمان ، فإن فيه لبسا واختلافاً ، وهذا يقتضي أن نذكر التعريف المشهور ونوضح معناه ، ثم ننقده ونبرز ما فيه من خلل ، وبعد ذلك نذكر التعريف الصحيح ، ونقيم الدليل على صحته ورجحانه ، وهاك البيان :

الإيمان له تعريف مشهور ، فقد عرفه كثير من العلماء بتعريفات متقاربةتتفق في المضمون بعد الاتفاق على أن معناه لغة التصديق :

قال البيضاوي(٨) : « وأما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد – ﷺ – كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء » .

وقال أبو السعود(٩) : « وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا عليه الصلاة والسلام ، كالتوحيد والنبوة ، والبعث والجزاء ونظائرها » .

وقال الألوسي(١٠) : « وأما في الشرع فهو التصديق بما علم مجيء النبي – ﷺ – به ضرورة » ويلاحظ أن كلا من هذه التعاريف يتكون من أمرين رئيسيين :

الأول : التصديق .

---

(٨) تفسير البيضاوي : – ٨ : دار الجيل – بيروت .

(٩) تفسير أبي السعود ، لأبي السعود بن محمد العمادي : ١/٥٢ مكتبة الرياض الحديثة – الرياض .

(١٠) تفسير الألوسي : ١/ ١١٠ ، إدارة الطباعة المنيرية – القاهرة .

الثاني : متعلقة وهو المعلوم من الدين بالضرورة .

وسأتناول – إن شاء الله – كلا منهما بالإيضاح فيما يلي :

ما هو التصديق :

أريد هنا أن أوضح المراد بالتصديق ، والفرق بينه وبين المعرفة :

الذي يفهم من كلام المحققين أن التصديق عنصر قلبي وجداني ، فهو الإذعان والقبول ، أو بعبارة أخرى أوضح الرضا والتسليم والإطمئنان القلبي وترك التكبر والعناد ، لا مجرد المعرفة بحقيقة نبوته – ﷺ – وصدقه .

أما المعرفة فعنصر ذهني عقلي ، فهي اليقين والعلم الجازم .

وعلى هذا ، فالتصديق شيء والمعرفة شيء آخر ، لكن لابد من وجودهما معاً ليتحقق معنى الإيمان ، غير أن المعرفة أسبق وجوداً ، فيمكن بعد تحققها أن يوجد معها ، ويستند إليها الرضا والتسليم فيحصل التصديق والإيمان ، وكذا يمكن أن يوجد معها ويستند إليها الكراهية والبغض وعدم القبول فيحصل الجحود والكفران .

والقرآن الكريم يقرر هذا فيذكر أن هناك أقواماً عرفوا الحق واستيقنوه ، لكنهم جحدوه وامتلأت قلوبهم بغضا له وحقداً عليه ، فحكم بكفرهم رغم معرفتهم ، من هؤلاء أهل الكتاب إذ قال الله فيهم :

﴿ الذين آيتناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾(١١) .

﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾(١٢) .

---

(١١) سورة البقرة : الآية رقم ١٤٦ .

(١٢) سورة البقرة : الآية رقم ١٠٩ .

وفي تقرير تلك الحقيقة قال صاحب حاشية الشهاب(١٣) : في تفسير ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾(١٤) .

« والتصديق هو الإذعان والتسليم والرضا به من غير تردد وشك فيه ، لا مجرد العلم والمعرفة ، إذ من الكفار من يعرف الحق ولا يقربه عنادا » .

وقال الشيخ صالح شرف في التعليق على شرح العقيدة النسفية(١٥) : « ومعنى عبارته أن حقيقة التصديق هو الإذعان الذي يحصل في القلب عن كسب واختيار بحيث تطمئن إليه النفس وتسلمه هذا معنى التصديق ، وليس معناه أن يحصل في القلب كون الصدق منسوباً إلى الخبر أو المخبر من غير إذعان ، لأن هذا من قبيل المعرفة » .

* * *

المعلوم من الدين بالضرورة :

يراد به ما اشتهر بين أهل الإسلام ، وصار العلم يشبه العلم الحاصل بالضرورة ، بحيث يعلمه العامة والخاصة من غير حاجة إلى نظر واستدلال ، وإن كان في أصله نظرياً كوحدانية الخالق ، ووجوب الصلاة وكحرمة الخمر والسرقة .

وللقوم في تعريفه عبارات متقاربة من أوضحها ما قاله صاحب شرح الجوهرة(١٦) : « أى علم من أدله الدين يشبه الضرورة ، فهو نظرى في الأصل ، إلا أنه لما اشتهر صار ملحقاً بالضرورة » .

* * *

---

(١٣) حاشية الشهاب ، الخفاجي على تفسير البيضاوي : ١/٢١٢ ، دار صادر - بيروت .

(١٤) سورة البقرة : الاية رقم ٣ .

(١٥) مذكرات التوحيد للشيخ صالح شرف ، الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر وكيل الأزهر سابقا : ١٦٧ . المطبعة الفاروقية - القاهرة .

(١٦) شرح جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم الباجوري : ص ٦٧ .

نقد هذا التعريف :

والتعريف السابق للإيمان أراه غير تام ، وغير مسلم أولاً من ناحية أن المعلوم من الدين بالضرورة هو جزء من الدين ، وليس كل الدين ، فليس كل تعاليم الأسلام معلومة بالضرورة يعرفها العامة والخاصة بصورة واضحة ومشهورة ، وهذا أمر ظاهر .

ثانياً : من ناحية أن المعلوم بالضرورة أمر يتغير بتغير الظروف والأزمنة والبيئات ، ومعنى هذا أن التعريف غير ثابت ولا مطرد ، فمثلا الحكم بما أنزل الله كان معلوماً من الدين بالضرورة في العصور التي كان يحكم فيها بالشريعة ، وكان هذا الحكم يهيمن على كل مظاهر الحياة الإجتماعية ، ولكنه ليس من هذا القبيل في زماننا ، بعد أن نحيت الشريعة وصار الحكم بالقوانين الوضعية في شتى مناحي الحياة ، فكثير من المثقفين الآن لايدرك أن الإسلام دين ودولة فضلا عن العوام ، ويظن أن الدين مقصور على العبادات والأخلاق والأحوال الشخصية ، ولا شأن له بالحكم ولا السياسة ولا الاقتصاد ، وإذا ناقشتهم جادلوك جدالا يدل على جهل مركب ، وكثير منهم يرفض ذلك ولا يقتنع به إلا بعد جهد جهيد .

* * *

التعريف الصحيح ودليله :

وقد عرف المحققون الإيمان بتعريف آخر هو الصحيح فيما أرى :

قال الحافظ ابن حجر(١٧) : « الإيمان لغة التصديق ، وشرعاً : تصديق الرسول فيما جاء به من ربه » .

وقد عرفه شارح العقيدة الطحاوية بمثل هذا التعريف فقال(١٨) : « هو أن يصدق الرسول - ﷺ - فيما جاء به من عند الله ، فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن » .

---

(١٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني : ١/٤٦ ، أشرف على طبعه محب الدين الخطيب .

(١٨) العقيدة الطحاوية لابن العز الحنفي : ص ٣٧٩ - المكتب الإسلامي - بيروت : ط ٤ .

وقال البغدادي(١٩) : « قال أبو الحسن الأشعري إن الإيمان هو التصديق لله ولرسوله عليهم السلام في أخبارهم » .

وهكذا يقرر المحققون أن المعتقد الذي يجب التصديق به هو ما جاء به الرسول جملة ، لذا فإني أرى هذه التعريفات هي الصحيحة ، وهي خير من تعريفه السابق بأنه « التصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد - ﷺ - ، وذلك لأمرين .

أولهما : أن التعريفات المشار إليها أعم وأشمل ، ويدخل فيها التصديق بالمعلوم من الدين بالضرورة ضمنا .

ثانياً : أن تلك التعريفات توافق صريح الكتاب والسنة ، كقوله تعالى :

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئآتهم وأصلح بالهم ﴾(٢٠) .

ومثل قوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به »(٢١) .

والإيمان بهذا المعنى يشمل الأركان الستة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره .

* * *

أهمية الإيمان :

لابد هنا أن ننوه بالعقيدة ، ونبين قدرها ومنزلتها ، إنها بكلمة موجزة

---

(١٩) أصول الدين للإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي : ص ٢٤٨ - دار مكتبة الهلالي - بيروت : ط ٢ .

(٢٠) سورة محمد : الآية ٢ .

(٢١) رواه مسلم عن أبي هريرة ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١/ ١٧٧ ، ط الشعب - القاهرة

أصل الدين ، وقاعدة الحياة الطيبة للفرد والأمة ، فهي الأساس الذي تقوم عليه أحكام الدين كلها ، وشئون الحياة الكريمة بأسرها .

ولذا أولاها الإسلام ما تستحق من العناية والرعاية ، ومظهر ذلك :

* أنه ﷺ ، إفتتح رسالته بالدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله ممثلاً من قول « **لا إلاه إلا الله محمد رسول الله** » .

* وأنها استأثرت بالقسط الأوفى من آيات الكتاب العزيز .

* وأنها استغرقت فترة العهد المكي – وهي أكثر من نصف عمر الرسالة – في تأسيسها وتعميقها ، وتربية المسلمين عليها وعلى مقتضياتها من الطهر والأخلاق الكريمة .

* ولما هاجر ﷺ إلى المدينة ، ونزل التشريع بالأوامر والنواهي ، كان التذكير بالإيمان هو دعامة الحث والدعوة إلى الطاعة والإمتثال كما في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾(٢٢) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾(٢٣) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾(٢٤) .

يقول الشيخ الخضري(٢٥) : « آيات المكي ليس فيها شيء من

---

(٢٢) سورة الأنفال : الآية رقم ٢٤ .
(٢٣) سورة البقرة : الآية رقم ١٨٣ .
(٢٤) سورة المائدة : الآية رقم ٩٠ .
(٢٥) تاريخ التشريع للشيخ محمد الخضري : ص ١٧ ، المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة ط ٧

التشريع التفصيلي ، بل معظم ما جاء فيها يرجع إلى المقصد الأول من الدين ، وهو توحيد الله سبحانه ، وإقامة البراهين على وجوده ، والتحذير من عذابه ، ووصف يوم الدين وأهواله ونعيمه ، والحث على مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله – ﷺ – ليكملها ، ثم ضرب الأمثال بما أصاب الأمم الماضية حينما خالفت ما دعاها إليه أنبياؤها » .

ومما ينبغي تأكيده أن الإنسان كائن توجهه عقيدته ، فهي منطلق نشاطه ، ومصدر أعماله وتصرفاته الاختيارية بكافة ألوانها .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز(٢٦) : « إن الإنسان يمتاز على سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية ، يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره ، ولا يوضع في يده ولا عنقه ، ولا يجري في دمه ، ولا يسرى في عضلاته وأعصابه ، وإنما هو معنى إنساني روحاني إسمه الفكرة والعقيدة » .

أركان الإيمان والعلاقة بينها :

أركان الإيمان خمسة ، كما ذكرها القرآن في آية البر السابقة أول البحث يجعل الإيمان بالقدر داخلا في الإيمان بالله تعالى .

وقد حاول العلماء ، قديماً وحديثاً اكتناه وكشف العلاقات التي تربط بينها ، قال أبو حيان(٢٧) « في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** ﴾(٢٨) . قال : « وهذا الترتيب في غاية الفصاحة ، لأن الإيمان بالله هي المرتبة

---

(٢٦) كتاب الدين للدكتور محمد عبد الله دراز : ص ١٠٧ – دار القلم – الكويت ك ط ٢ .

(٢٧) تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي : ٢ / ٣٦٤ – دار الفكر – بيروت .

(٢٨) سورة البقرة : الآية رقم ٢٨٥ .

الأولى ، وهي التي تستبد بها العقل ، إذ وجود الصانع يقر به كل عاقل ، والإيمان بملائكته هي المرتبة الثانية ، لأنهم كالوسائط بين الله وعباده ، والإيمان بالكتب هو الوحي الذي يتلقنه الملك من الله يوصله إلى البشر هي المرتبة الثالثة ، والإيمان بالرسل الذين يقتبسون أنوار الوحي ، فهم متأخرون في الدرجة عن الكتب هي المرتبة الرابعة » .

١ - وكلام أبي حيان هذا غير مستوعب لكل العلاقات بين أركان الإيمان ، لأنه لم يذكر الإيمان بالآخرة لعدم ذكره في الآية ، وكان من الممكن أن يتطرق إليه .

٢ - كما يلاحظ أنه بين مراتب الأركان الأربعة بصفة عامة ، ولم يبين العلاقة بينها بصورة مؤصلة ، وأكثر تحديداً على الوجه الذي سيأتي قريباً .

وللدكتور دراز في هذا الموضوع رأي قال(٢٩) : « هذه العقائد على كثرتها في كتب التوحيد ترجع إلى ثلاثة لازائد عليها :

المقصد الأول : معرفة المبدأ ، وهو العلم بالله تعالى وصفاته ، ويسمى « قسم الالهيات » .

المقصد الثاني : معرفة الواسطة ، وهو الإيمان بالرسل والملائكة والكتب والتكاليف ، ويسمى « قسم النبوات » .

المقصد الثالث : معرفة المعاد وهو الإيمان بالبعث والحساب والجزاء ، يسمى « قسم السمعيات » .

وهذا الكلام عليه ملاحظتان :

الأولى : أنه وصف الأركان الثلاثة - الملائكة ، والكتب ، والرسل ،

---

(٢٩) المختار من كنوز السنة للدكتور محمد عبد الله دراز : ص ١٠٧ - مطبعة محمد هاشم الكتبي - دمشق .

بوصف عام ، وهو أنها وسائط ، ولم يبين الأهمية النسبية لكل منها على حده .

الثانية : أنه لم يربط القضية كلها (قضية العلاقات) بأصول التفكير العقلي الإنساني ، كما سيأتي فيما يلي :

رأي في الموضوع :

يبقى أن أوضح ما أراه في تأصيل هذه العلاقة ، فإني أرى لها وجها آخر ، ذلك أن الإنسان منذ وجد على وجه الأرض ، وكان له عقل يفكر وقلب يشعر لازال يبحث عن ثلاث حقائق كبرى ، وهي البداية – والنهاية – والغاية العليا للوجود .

وقد عبروا عنها بالأسئلة التالية : من أين – وإلى أين – ولماذا ؟

* من أين جئت ، وجاء هذا الكون العريض من حولي ؟ هل وجدت وحدي أم أن هناك خالقا أوجدني ؟ ومن هو ؟ .

وكذلك هذا العالم الكبير بأرضه وسمائه ، وجماده ونباته وحيوانه ، هل وجد وحده ؟ أم أوجده خالق حكيم ؟ .

ثم ماذا يكون بعد هذه الدنيا ، بعد الموت والرحيل ؟ وإلى أين تنتهي المسيرة بعد تلك الرحلة القصيرة على ظهر الأرض ؟ **أتكون قصة الحياة كما يقول الماديون** « إن هي إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر ؟وكيف يستوى الأبرار والفجار ، أتكون نهاية الجميع واحدة هي الموت ، ولا شيء بعد ه ؟ أم أن هناك حياة أخرى يجزى فيها المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ؟ .

وما مصير هذا الكون ؟ هل يظل أبداً ؟ أم يزول ويتغير ؟ .

ثم لماذا وجد الإنسان ؟ لماذا خلق في أحسن تقويم وجعل له السمع والبصر والفؤاد ؟ لماذ أفيضت عليه النعم ؟ وسخر له الكون ومافيه ، وفضل على كثير من الخلق ؟ هل هناك مهمة أعد لها ؟ أو غاية خلق من أجلها ؟ أم وجد لمجرد أن يأكل ويشرب ويرتع ويلعب ، ثم ينفق كما تنفق الدواب ؟؟ .

وإذا كانت له مهمة وغاية فما هي ؟ وما حدودها ونتائجها وسبل القيام بها ؟؟ .

يقول الدكتور القرضاوي(٣٠) : « لماذا وجدت ؟ وما مهمتي في هذا الوجود ؟ ورسالتي في الحياة ؟ سؤال واجب على الإنسان – كل إنسان يسأله لنفسه – وأن يفكر ملياً في جوابه ، فإن كل جهل – مهما عظمت نتائجه – قد يغتفر إلا أن يجهل الإنسان سر وجوده وغاية حياته ، ورسا له نوعه وشخصه في هذه الأرض .

لهذا كان لزاماً على كل بشر عاقل أن يبادر فيسأل نفسه بجد لماذا خلقت ؟ وما غاية خلقي ؟

وقبل أن يجيب عن هذا السؤال أو يجاب عنه ، بل قبل أن يسأله يلزمه أن يسأل نفسه سؤالين آخرين ، لكي يتضح له الجواب ، وتتبين له الحقيقة كاملة مشرفة لايحجبها سحاب ولا ضباب .

السؤال الأول هو : من أنا ؟ ومن أين جئت ، وبعبارة أخرى من أوجدني ؟ .

السؤال الثاني هو : ما مصيري بعد أن وجدت ؟ وإلى أين أذهب بعد الموت ؟

ويعبر بعض المفكرين عن هذه الأسئلة بهذه الكلمات الموجزة : من أين ؟ وإلى أين ؟ ولم ؟ .

---

(٣٠) كتاب العبادة في الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي : ص ١٢ – مؤسسة الرسالة – بيروت .

هذه هي الأسئلة الثلاثة التي صاحبت الإنسان منذ فكر وتأمل ، ولا زالت تصحبه وتلح عليه ، وتتطلب الجواب الشافي لها ، فبدون هذا الجواب لا تتحدد كينونة الإنسان ولا موضعه في الكون ، ولا رسالته في الوجود ، وكيف يتحدد شيء من ذلك إذا كان كائناً لا يعرف ما هو ؟ ولا لم هو ؟ ولا من أين هو ؟ ولا إلى أين هو ؟ .

إنها الأسئلة الخالدة التي حاولت كل فلسفة في الشرق أو في الغرب أن تجيب عنها ، بل لا تعد فلسفة إذا غفلت الجواب عنها . أ. هـ .

أقول وقد جاء الوحي والدين بالأجوبة الأصيلة المشرقة ، والبيان الصحيح لهذه الحقائق الكبرى ، التي كانت معرفتها من أشكل المشكلات ، وأشد الألغاز والمعميات ، فبين أن البداية ومصدر الوجود هو الله عز وجل ﴿ **ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فأعبدوه وهو على كل شيء وكيل** ﴾(٣١) كما أثبت ذلك بالبراهين العقلية كقوله ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** ﴾(٣٢) . وهذا هو الإيمان بالله ، وبه أجاب عن السؤال الأول « من أين » ؟ .

وبين بالدليل والبرهان كذلك أن النهاية والمصير هو الآخرة : ﴿ **وأن إلى ربك المنتهى** ﴾(٣٣) ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾(٣٤) ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار** ﴾(٣٥) وهذا هو الإيمان بالآخرة ، وبه أجاب عن السؤال « إلى أين » ؟ .

---

(٣١) سورة الأنعام : الآية رقم ١٠٢ .
(٣٢) سورة الطور : الآية رقم ٣٥ .
(٣٣) سورة النجم : الآية رقم ٤٢ .
(٣٤) سورة المؤمنون : الآية رقم ١١٠ .
(٣٥) سورة ابراهيم : الآية رقم ٤٨ .

* ثم بين أن الغاية والمهمة التي من أجلها خلقنا هي « عبادة الله » ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾(٣٦) .

والعبادة هي العمل بالكتاب ، فالكتاب هو رسالة الحياة ، ومهمة الوجود ، ومن هنا جاء الإيمان بالكتاب ، وهو الإجابة عن السؤال « لماذا » ؟ .

* أما الإيمان بالملائكة والرسل ، فأنهم « السند » الذي بلغنا الكتاب ، فإنكارهم أو الشك فيهم يؤدي إلى إنكار الكتاب أو الشك فيه ، فكان لابد من الإيمان بهم من أجل الإيمان بالكتاب .

على أن للإيمان بالملائكة وجهاً آخر هو أنهم خاصة الله وصفوته من خلقه ومظهر سلطانه ، وجنوده المنفذون لأقداره ، فالإيمان بهم تابع للإيمان بالله من ناحية ، كما أنه تابع للإيمان بالكتاب من ناحية أخرى كما تقدم ،

هذا ، وللشيخ شلتوت كلام مفصل قريب عند التأمل مما ذكرت ، وإن كان بإسلوب آخر قال(٣٧) في تفسير قوله تعالى ﴿ **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾(٣٨) : « الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر هما الإيمان بالمبدأ والمعاد ، والإيمان بهما على الوجه الحق – وهما من الغيب المطلق – لا يمكن لعقل بشري أن يصل إليه مستقلاً ، ولا أن يعرف بنفسه مستلزماته من الواجبات والأحكام التشريعية ، فإن العقل البشري ذو إستعداد محدود ، ويحيط به مع ذلك الهوى والشهوة ، فلابد أن يهدي من مصدر لا يحد علمه ، ولا ترقى إليه الأهواء والنزعات هو الله الذي لا يعزب عن علمه شئ في الأرض ولا في السماء ، وهو الحكيم الخبير .

---

(٣٦) سورة الذاريات : الآية رقم ٥٦ .

(٣٧) تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى) للشيخ محمود شلتوت : ص ٨٢ – دار الشروق – القاهرة .

(٣٨) سورة البقرة : الآية رقم ١٧٧ .

إذن لابد من واسطة بين هذا المصدر وبين الخلق هي طريق المعرفة لواجب الإيمان بالله واليوم الآخر . **هذه الواسطة تتكون من ثلاثة عناصر** .

عنصر في الطرف الأعلى ، وله بحسب تكوينه وخلقه إستعداد يمكنه من التلقي عن الله مباشرة ، وهم الملائكة ، والإيمان بهم أصل الإيمان بالوحي فيلزم من إنكارهم إنكار الوحي ، وهو يستلزم إنكار النبوة وإنكار الدار الآخرة .

وعنصر في الطرف القريب من الناس ، هو منهم بمقتضى بشريته ، وله صلة بالملأ الأعلى بمقتضى روحانيته ،وهم الأنبياء يتصلون بالملائكة الذين هم سفراء الله أو سفرته كما عبر القرآن ، فيتلقون عنهم ما أمر الله به ويتصلون بالخلق ، فيبلغونهم ما أمروا به من أحكام وتشريعات .

والعنصر الثالث ، هو نفس الرسالة والوحي – وقد عبر عنهما في الآية الكريمة بالكتاب والتعبير بالكتاب دون الكتب إشارة إلى وحدة الدين عند الله ، وأن الإيمان بكتاب ما من الكتب السماوية إيمان بالكل .

هذه العناصر الثلاثة للسفارة الإلهية طرفان ووسط ، لابد من الإيمان بها ، ولا يتحقق البر مع إنكار شيء منها كالإيمان بالله واليوم الآخر ، وبهذا تمت الأمور الخمسة التي هي البر في العقيدة ﴿ **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملآئكة والكتاب والنبيين** ﴾ « أ » هـ .

ومن هذا العرض يعلم أن أركان العقيدة يشد بعضها إلى بعض أوثق الروابط والعلاقات حتى تؤلف منها وحدة إعتقادية لا تنفصم عراها .

كما يتضح أن هذه الخمسة هي الضرورة الإيمانية الأولى التي لا يمكن أن يستغني عنها الإنسان في وجوده بحال .

ثانياً : الغاية العليا :

بحث الغاية بعد العقيدة غير معتاد ولا مألوف للباحثين ، فهم يقولون الإسلام عقيدة وشريعة ، ولكن الحقيقة أن الإسلام : عقيدة ، وغاية ، وشريعة . وربما كان مرادهم أن الغاية تابعة للعقيدة وداخلة فيها ، ولكن التحديد والفصل بينهما أدق وأحق ، ولذا فإنه يعتبر إضافة جديدة والله أعلم .

* * *

والغاية عموماً سواء أكانت عليا أو دنيا أول ما يخطر بالبال ، ويحضر في الذهن ، وعلى ضوئها تكتشف الوسيلة ، وبعد ذلك يعمل الشخص بالوسيلة ، فينتهي إلى تحقيق الغاية بالفعل ، ولذا قيل : نعم ما قال سادة الأول .. أول الفكر آخر العمل .

وهذا يقرر أهميتها وسبقها على سائر الأهداف والأعمال ، ومن هنا قالوا : « اركب زمانك كما تركب البحر تحدوك غاية » .

قف دون رأيك في الحياة مجاهدا   إن الحياة عقيدة وجهاد

* * *

مفهوم الغاية :

يراد بالغاية العليا المقصد النهائي للمرء في حياته ، أي الذي تنتهي إليه كل أغراضه وأهدافه وآماله ، وتتجه إليه كل أعماله وتصرفاته الإرادية ، ولذا يعبر عنها فلاسفة الأخلاق « بالغاية القصوى » أو « الخير الأقصى » أو « النهائي » ، و « غاية الغايات » ، ونحو ذلك .

ولاشك أن كل غاية فرعية لعمل معين ، يقصد من ورائها غاية أخرى

هي أبعد وأعم ، وهكذا حتى نصل إلى الغاية العليا النهائية التي لا غاية فوقها ، والتي يتفرغ منها وتصدر عنها كل أهداف المرء وأعماله في الحياة ، وتسيطر عليها جميعاً ، وهي إما متاع الدنيا ، أو رضوان الله ونعيم الآخرة .

وهذه الغاية العليا أو النهائية هي التي تراد هنا .

وفي تقرير هذا يقول ابن القيم(٣٩) : « لابد من محبوب مراد لنفسه ، لا يطلب ويحب لغيره ، إذ لو كان كل محبوب يحب لغيره لزم الدور والتسلسل في العلل والغايات ، وهو باطل باتفاق العقلاء » .

خذ مثلا الطالب الذي يدرس ويتعلم ، وفتش عن مقاصده ونواياه ، وانظر إلى أي شيء تنتهي ، تجد أنه يقضي فترة من عمره في الدراسة ، لينال شهادة علمية ، وهو يطلب هذه الشهادة من أجل العمل والوظيفة ، ويطلب الوظيفة ، والعمل من أجل المال والعيشة الراضيَة في الدنيا ، فإذا كانت هي أكبر همه ومبلغ علمه كانت غايته الدنيا .

وإذا أراد بهذا التزود ليوم القيامة ، وطلب رضوان الله ونعيم الآخرة ، وإنتهت إليه آماله كانت غايته الآخرة .

وما يقال عن الطالب يقال عن الزراع والصانع والتاجر ، وصاحب المهنة ، ورجل الأعمال وغيرهم من أصناف الناس .

فالمرء تتسلسل أهدافه ومرميه ، حتى تصل إلى القمة أو الغاية العليا التي لا شيء فوقها ، وهي إما الدنيا وإما الآخرة ، ولا ثالث لهما .

ولذا قالوا : الغاية غايتان : دنيا يعيش عليها الأدنياء ، **وعليا** يحيا

---

(٣٩) إغاثة اللهفان لابن القيم : ٢ / ١٣٥ - بدار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

عليها الفضلاء، **فالأولى** : هي المادية التي علقت قلوب الناس بعبادة المادة والمال والشهوات **والثانية** : هي الربانية التي علقت قلوب المؤمنين برضوان الله وثواب الآخرة .

الواجب الحتم :

أن تكون غايتنا العليا هي الآخرة :

أما الدنيا ، فلا تصلح أن تكون غاية تطلب لذاتها ، لأنها فانية ، وإنما يجب أن تطلب طيباتها وحلالها لتكون وسيلة للآخرة ، وإلا هلك المرء وخسر الدنيا والآخرة جميعاً قال تعالى : ﴿ **وإبتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا** ﴾(٤٠) .

أهميتها ومنزلتها في الدين :

وهذه الغاية – وهي رضوان الله وثواب الآخرة – أهم شيء في الدين بعد الإيمان ، وقبل التشريع والسلوك ، **فالترتيب بحسب الأهمية كالآتي** :

أولاً : الإيمان .

ثانياً : الغاية العليا .

ثالثاً : التشريع والسلوك فهي إذن محور الدين .

وإنما كانت العقيدة مقدمة على الغاية ، لأن الإنسان إنما يتخذ ويطلب غايته مما يعتقد أنه حق وخير ، فنحن نؤمن بالآخرة أولاً ، ثم نتخذها غاية بعد ذلك ، ولأن الإيمان هو الذي يدفعنا إلى طلبها والقصد إليها .

---

(٤٠) سورة القصص : الآية رقم ٧٧ – وبذلك يعلم أن الآخرة عقيدة وغاية .

روى ابن كثير بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾(٤١) . قالوا : يا رسول الله ، كيف يشرح صدره ؟ قال : « يدخل فيه النور فينفسح ، قالوا : هل لذلك علامة يا رسول الله ؟ قال : « التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإستعداد للموت قبل أن ينزل الموت »(٤٢) .

وأما كون الغاية مقدمة على التشريع والسلوك ، فلأنها مقصد التشريع وقطبه الأعظم ، فهي التي تدور حولها كل التشريعات والأحكام التي أنزلها الله عز وجل .

كما أنها هي التي تدور حولها ، وتتجه إليها أفكار المسلم ومشاعره ونوازعه وأقواله وأعماله ، وسلوكه كله ، وطاعته الله فيما شرع وكلف .

* * *

عناية القرآن بالدعوة إليها :

وإنما ذكرنا هذا الجانب لإبراز تميزها وأهميتها وفضلها في القرآن الكريم . نعم . لقد دعا الكتاب والسنة – إلى إيثار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم والثواب العظيم على عرض هذا الأدنى ، وأن تكون هي المطلب الرسمي ، والهدف الأعلى الذي تتعلق به القلوب والبصائر ، وتجند له المواهب والإمكانات والأعمار ، وتدور حوله أعمال الإنسان وحركته في الحياة .

---

(٤١) سورة الأنعام : الآية رقم ١٢٥ .

(٤٢) ذكر له ابن كثير عدة طرق ، وقال : فهذة طرق الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً – تفسير ابن كثير : ٢/ ١٧٥ . دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت .

ولعلماء الإسلام وأئمته أقوال إستقوها من نصوص الوحي والكتاب العزيز تؤيد ذلك وتؤكده ، نذكر طرفاً منها :

يقول الدكتور محمد يوسف مرسي(٤٣) : « ومهما اختلفت طرائق المسلمين في الحياة وفهمهم لها فقد كانت الغاية العليا ، السعادة التي ليس وراءها سعادة عندهم ، سعادة الآخرة وما وعد الله في جناته ، كل لها يرجو ، وكل لها يعمل ، والكل قد إختار طريقه إليها ، بعد أن جعلها القرآن الغاية ، وبين لها السبل » .

ويقول ابن القيم(٤٤) : « إعلم أن القلب إذا خلى من الإهتمام بالدنيا والتعلق بما فيها من مال أو رياسة ، أو صورة ، وتعلق بالآخرة والإهتمام بها من تحصيل العدة ، والتأهب للقدوم على الله عز وجل : فذلك أول فتوحه .. وتباشير فجره » .

وقال الإمام الغزالي(٤٥) : « الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة ، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا ، وصرف الخلق عنها ، ودعوتهم إلى الآخرة ، بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولم يبعثوا إلا لذلك » .

هذه طائفة من أقوال العلماء والمفكرين في تقرير المعنى المتقدم ، فما تفاصيل ذلك من القرآن الكريم نفسه ؟ .

من يتأمل الكتاب العزيز يجد أن دعوته إلى الآخرة وحثه عليها تشمل الأصول الآتية :

---

(٤٣) فلسفة الأخلاق في الإسلام للدكتور محمد يوسف موسى : ص ٣٥ مؤسسة الخانجي بالقاهرة .

(٤٤) مدارج السالكين لابن القيم : ٣/ ٣٧٩ – دار الكتاب العربي – بيروت .

(٤٥) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي : ٣/ ١٧٠٩ – دار الفكر – بيروت .

الأول : إثبات أن الآخرة حق لاريب فيه بمختلف الأدلة ، ووسائل الإقناع .

الثاني : بيان فضل ثواب الآخرة وسعادتها بالمقارنة بينها وبين متاع الحياة الدنيا ، مع تصوير ذلك وتجليته بالأمثال .

الثالث : بيان فضل السعي إلى الآخرة ، بالمقارنة بين عاقبته الحسنى وعاقبة الخيبة والشقاء في السعى إلى الدنيا كغاية ، إذ ليس كل شيء قيم في ذاته يكون السعي للحصول عليه ممكنا ومجديا يحق المطلوب ، كالذهب الذي يتعذر الحصول عليه من معدنه ، أو تفوق قيمته تكاليف استخراجه ، أو بعبارة أخرى تقل قيمته عن تكاليف استخراجه من معدنه .

الرابع : نصب القدوة المثلى التي تشد العزائم ، وتقوى الرغبة للتأسي بها في طلب الآخرة من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

الخامس : رسم المنهج الموصل إلى سعادة الآخرة أساساً والدنيا تبعاً ، فإن ذلك يشد العزائم أيضاً لسلوكه ، إذ يجد طريقها مفتوحاً وميسراً ، بخلاف ما إذا وجده مغلقا أو عسيراً .

هذه هي الأصول الكبرى للدعوة إلى الآخرة في القرآن ، وأود الآن – إن شاء الله – أن أتناولها بالبيان تباعاً ، وبالله التوفيق .

الأصل الأول : إثبات الآخرة :

لا يمكن إثبات الآخرة والبعث إلا بعد الإيمان بالله وصفات كماله ، وعلى أساس التسليم بهذا .

ذلك أن دليلها يتكون من إثبات أمرين عظيمين ، ويقوم عليهما معاً ، ولا ينهض بأحدهما دون الآخرة .

الأول : أنها مقتضى العدل والحكمة الالهية ، وأنه تعالى قد أرادها ووعد بها .

الثاني : أنه تعالى قادر على تحقيقها وإيجادها .

وفيما يلي التفصيل :

أولاً : الآخرة مقتضى العدل والحكمة والوعد الإلهي .

هذا حق ، لأن الله عز وجل كلف العباد وأرسل إليهم رسلاً ، انزل عليهم كتباً ، وسن لهم شرائع وحد حدوداً فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ومنهم من أطاع ومنهم من عصى .

وعدل الله يقتضي ، ولابد أن يجازي كل مكلف بما عمل ، ولا يمكن أن يستوي في ميزانه سبحانه مؤمن وكافر ، ولا بار وفاجر .

ومن المقرر أن أحداً لا يأخذ جزاءه الحق في هذه الدنيا ، لأنه تعالى قضى أن تكون دار إبتلاء لا دار جزاء .

فلابد إذن من حياة أخري لتوفى كل نفس بما كسبت إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، ويتحقق فيها عدل الله .

وقد جاء بهذا صريح القرآن الكريم في آيات كثيرة مثل قوله تعالى :

﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾(٤٦) .

﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ﴾(٤٧) .

---

(٤٦) سورة آل عمران : الآية رقم ١٨٥ .

(٤٧) سورة القلم : الآية رقم ٣٥ ، ٣٦ .

﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾(٤٨) .

وهذا الجزاء هو الحكمة العليا للوجود .

فقد خلق الكون للإنسان ، وخلق الإنسان ليكلف ويختبر ، ثم ليجازي بما عمل ، فلو لم يكن هذا الجزاء ، لكان التكليف والإختيار عبثاً ، وكان خلق الإنسان عبثاً ، وخلق الكون له باطلا ، وكل هذا مستحيل عليه سبحانه .

إن الإنسان لا يتصور في شخص عاقل أن يبني عمارة هائلة على أفضل نظام ثم يزينها بأفخم الأثاث ، ويزودها بوسائل الترف والنعيم ، أن يفعل ذلك بلا هدف ولا غاية ، فيعطلها عن السكنى ، ولا يحقق من ورائها مصلحة ما ، ثم يكر عليها فينسفها من القواعد نسفا ، إن هذا لا يتصور من عاقل ، ولو فعل لا ستحق الوصف بالجهل والسفه .

فكيف يعقل في حقه تعالى أن يخلق الإنسان ، ويبني هذه العمارة الكونية العظيمة الرائعة ، بلا حكمة عليا ولا مهمة حقيقية ؟ هذا مستحيل ، بل من أوضح المستحيلات ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، قال تعالى :

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾(٤٩) .

﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات محياهم ومماتهم ساءما يحكمون وخلق الله

---

(٤٨) سورة ص : الآية رقم ٢٧ ، ٢٨ .

(٤٩) سورة المؤمنون الآية : رقم ١١٥ ، ١١٦ .

السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴾(٥٠) .

هذا ، وقد وعد الله بتلك النشأة الآخرة ، ومعنى هذا أن إرادته تعالى قد تعلقت بإيجادها في وقتها الذي إستأثر الله بعلمه . يقول سبحانه : ﴿ **يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين** ﴾(٥١) .

﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير** ﴾(٥٢) .

من العرض السابق نعلم أن : الجزاء الأخروي مقتضى العدل والحكمة الآلهية العليا ، وأن الله قدوعد به ، وتعلقت به مشيئته ، فلابد من وقوعه ، جاء بكتاب معالم الدعوة(٥٣) : « إن الجزاء في الآخرة أمر تقضي به الحكمة ، ولا يمكن لإله حكيم أن يخلق ذلك الخلق الواسع من سماء وأرض ، وما بينهما وما فيهما ، ثم لا يجعل للناس حياة يوضع فيها الميزان القسط ينقلب فيها القوى ضعيفاً ، والضعيف قوياً ، وترجع فيها كفة العمل الصالح على كفة الفساد ، ذلك ما تقتضيه الحكمة وتتطلبه المصلحة » .

قدرة الله على المنشأة الآخرة :

إذا كانت الآخرة مقتضى عدل الله وحكمته ، وقد وعد بها وأرادها ، فهل هو قادر على إيجادها وخلقها ؟

والجواب : نعم هو تعالى قادر على ذلك ، وهو عليه يسير . والأدلة

---

(٥٠) سورة الجاثية : الآية رقم ٢١ ، ٢٢ .

(٥١) سورة الأنبياء : الآية رقم ١٠٤ .

(٥٢) سورة التغابن : الآية رقم ٧ .

(٥٣) معالم الدعوة في قصص القرآن (رسالة دكتوراه) بقلم عبد الوهاب لطفي الديلمي : ١/ ٢٣٤ - ط ١ دار المجتمع - جدة .

العقلية التي ذكرها القرآن لإثبات قدرة الله على البعث كثيرة ومتنوعة ، **وأود الآن بمشيئة الله** أن أنبه عليها في إشارات سريعة فيها الكفاية .

الأول : برهان النشأة الأولى ، فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة بالأولى . قال تعالى : ﴿ **ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون** ﴾(٥٤) أى فلولا تذكرون « أن من قدر عليها قدر النشأة الآخرة ، فإنها أقل صنعاً لحصول المواد وتخصيص أجزاء ، وسبق المثال »(٥٥) .

وقال تعالى : ﴿ **ويقول الإنسان أءِذا مامت لسوف أخرج حيا ، أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً** ﴾(٥٦) .

﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾(٥٧) .

الثاني : برهان الخلق الأكبر ، فإن خلق الكون بسمائه وأرضه وما فيهما من أصناف الكائنات أجل وأعظم من خلق الإنسان ، ومن قدر على ذلك قدر على إعادة الإنسان بالأولى . قال تعالى : ﴿ **لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ﴾(٥٨) . ﴿ **أولم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير** ﴾(٥٩) .

يقول الفخر الرازي في تفسيرها(٦٠) : « والقادر على الأقوى

---

(٥٤) سورة الواقعة : الآية رقم ٦٢ .

(٥٥) تفسير البيضاوي : ص ٧١٢ – دار الجيل – بيروت .

(٥٦) سورة مريم : الآية رقم ٦٦ ، ٦٧ .

(٥٧) سورة الروم : الآية رقم ٢٧ .

(٥٨) سورة غافر : الآية رقم ٥٧ .

(٥٩) سورة الأحقاف : الآية رقم ٣٣ .

(٦٠) تفسير الفخر الرازي : ٢٨ / ٣٤ . – المطبعة البهية المصرية – القاهرة .

الأكمل ، لابد أن يكون قادراً على الأقل والأضعف ، ثم ختم الآية بقوله : ﴿ **إنه على كل شيء قدير** ﴾ والمقصود منه أن تعلق الروح بالجسد أمر ممكن ، إذ لو لم يكن ممكناً في نفسه لما وقع أولا ، والله تعالى قادر على كل الممكنات فوجب كونه قادراً على تلك الإعادة ، وهذه الدلائل يقينية ظاهرة » .

الثالث : برهان إحياء الأرض بعد موتها ، فإنه تعالى ينزل الماء على الأرض فيحييها بأنواع الزرع والشجر ، وألوان الزهر والثمر ، ومن يفعل ذلك قادراً على البعث وإحياء الإنسان بعد موته ، وهو من إظهار البراهين ، لأنه مشاهد ومتجدد ، وقد صرح به القرآن في كثير من الآيات ، مثل قوله تعالى : ﴿ **وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** ﴾(٦١) .

قال الشوكاني(٦٢) : « قوله ﴿ **كذلك نخرج الموتى** ﴾ أي مثل ذلك الإخراج ، وهو إخراج الثمرات نخرج الموتى من القبور يوم حشرهم ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾ أي تتذكرون فتعلمون بعظيم قدرة الله ، وبديع صنعته ، وأنه قادر على بعثكم كما قدر على إخراج الثمرات التي تشاهدونها .

الرابع : إحياء بعض الموتى في الدنيا ، ذلك أن من أحيا نفسا واحدة ، فهو قادر على إحياء الجميع ، لأنهم متماثلون ، وسنة الإحياء

---

(٦١) سورة الأعراف : الآية رقم ٥٧ .

(٦٢) تفسير فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني : ٢ / ٢١٤ – دار الفكر – بيروت .

فيهم واحدة ، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ (٦٣) .

من ذلك ما ذكره القرآن الكريم بقوله تعالي : ﴿ **وإذ قتلتم نفسا فادار أتم فيها والله يخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوا ببعضها كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون** ﴾(٦٤) .

الخامس : الإيقاظ بعد الإنامة ، لأن النوم أخو الموت ، والإيقاظ أخو البعث وتوفى نفس النائم ثم إيقاظه بإرسالها إليه دليل على أن الله يحى الموتى ويبعث من في القبور لأنهما سيان ، وتلك ظاهرة بشرية نراها في أنفسنا وفي غيرنا ، قال تعالى ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾(٦٥) .

جاء بتفسير الخازن : ﴿ إن في ذلك لأيات لقوم يتفكرون ﴾ . « أى في البعث ، وذلك أن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث »(٦٦) .

ولقد أنام الله بعض عباده آمادا طويلة ، ثم أيقظهم ليجعل من ذلك آية على البعث لتلفت أنظارهم إليه بقوة ، وتخرجهم من دائرة الألف والإعتياد ، كما فعل بأصحاب الكهف .

ويدخل في الاستدلال على قدرة الله على البعث الآيات التي

---

(٦٣) سورة لقمان : الآية رقم ٢٨ .

(٦٤) سورة البقرة : الآية رقم ٢٢ ، ٢٣ .

(٦٥) سورة الزمر : الآية رقم ٤٢ .

(٦٦) تفسير الخازن : ٤/٥٧ – دار المعرفة – بيروت .

تلفت النظر إلى مظاهر القدرة الإلهية ، وعظمتها كقوله تعالى : **﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾**(٦٧) .

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾(٦٨) .

الأصل الثاني : فضل الآخرة :

بين القرآن فضلها على متاع هذه الحياة من الناحيتين الأساسيتين :

الأولى : درجة النعيم ومقداره ومستواه ، فهو في الآخرة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من الثواب المادي والمعنوي والروحي ، الذي قمته النظر إلى وجه الله الكريم مع النجاة من عذاب النار وأهوالها ، وقد أفاض في ذلك الكتاب والسنة .

أما متاع الدنيا فهو قليل من المستوى الأدنى ، وهو مع ذلك ممزوج بالإبتلاء وكثير من الآلام والأكدار والمخاوف التي من ألزمها وأشدها ترقب الموت والنهاية ، كما قال بضهم :

لا طيب للعيش مادامت منغصة　　　لذاته بأدكار الموت والهرم

الثانية : المدة والبقاء ، فنعيم الآخرة أبدى لا يفنى ولا يزول : **﴿ لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾**(٦٩) .

أما متاع هذه الحياة فعمره سنوات قليلة معدودة ، فكيف يقاس القصير الفاني بالخالد الباقي ، إن عمر التمتع الدنيوي ، بالإضافة إلى خلود الآخرة شيء لا وزن له ولا قيمة . وبهذا يعلم أن ثواب الآخرة

---

(٦٧) سورة الملك : ١ ، ٢ .

(٦٨) سورة يس : الآية رقم ٨٢ .

(٦٩) سورة الدخان : الآية رقم ٥٦ .

خير في كمه وكيفه ، وأبقى في مدته وزمنه بغير حدود ، وبهذا التفضيل جاء القرآن ليوجه القلوب إلى الذي هو خير وأبقى . قال تعالى : **﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين إتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾**(٧٠) .

﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾(٧١) .

وقد ضرب الله الأمثال لضآلة الدنيا وسرعة تقضيها ، وعرض هذا في صورة محسة لتجلية شأنها حتى ترى على حقيقتها ، ولإبراز عظمة الآخرة ودوامها لتؤثرها القلوب على هذه العاجلة ، قال تعالى : **﴿ إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينةوتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾**(٧٢) .

وقال تعالى : **﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان**

---

(٧٠) سورة آل عمران : ١٤ ، ١٥
(٧١) سورة الأعلى : الآية رقم ١٦ ، ١٧ .
(٧٢) سورة الحديد : الآية رقم ٢٠ ، ٢١ .

الله على كل شيء مقتدرا ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا ﴾(٧٥) .

الأصل الثالث : فضل السعي إلى الآخرة :

عرفنا من القرآن الكريم أن الآخرة خير وأبقى ، ولكن ليس كل نفيس في ذاته يمكن الحصول عليه أو يكون السعي إليه مجدياً . كما سبق .

لذا بين القرآن فضل السعي إلى الآخرة وحسن عاقبته ، مقارناً بحسران السعي إلى الدنيا كغاية وسوء عاقبته ، ليختار العاقل خير العملين ، وأفضل الطريقين ، ومماورد في ذلك قوله تعالى : **﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾**(٧٤) .

﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب ﴾(٧٥) .

وغير ذلك في القرآن كثير .

الأصل الرابع : نصب القدوة :

أي نصب القدوة في أعماق الغاية العليا ، ولا يخفي ما للقدوة من أهمية كبرى ، وأثر فعال في هذا الجانب ، وفي سائر الجوانب السلوكية والأخلاقية ، ولذا جعل النبي ﷺ أسوتنا في هذا وفي كل

---

(٧٣) سورة الكهف : الآية رقم ٤٥ ، ٤٦
(٧٤) سورة الإسراء : الآية رقم ١٨ ، ١٩ .
(٧٥) سورة الشورى : الآية رقم ٢٠ .

شئون حياتنا . قال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾(٧٦) .

يقول الدكتور التهامي نفره(٧٧) . : « فالآية تشير إلى مذهب جليل في الأخلاق وهو مذهب القدوة والمثل ، وتهيب بكل من يتولى شأنا عاماً من شئون الناس أن يأخذ نفسه أو لا بما يطالب الناس أن يأخذوا أنفسهم به ، حتى يكونوا قدوة لغيرهم ، فيرى الناس في مرآة النفوس الكبيرة صوراً طيبة يعملون على مثالها ، فالأمثلة العالية تنتقل بين الناس ويلتزمها الجيل بعد الجيل .

وقد دلت التجارب التربوية على أن أشد المواعظ الدينية نفاذاً إلى القلوب ما عرض في أسلوب قصصي يحمل على المشاركة الوجدانية للأشخاص والتأثر بالأحداث والإنفعال بالمواقف » .

ويقول الأستاذ أحمد أمين في وسائل التربية الخلقية(٧٨) :
ثالثاً : مطالعة سير الأبطال والنابغين ، فإن حياتهم تتمثل أمام القاريء وتوحي إليه بتقليدهم والإقتداء بهم ، ولم تخل أمة من أبطال لا يقرأ القاريء ترجمة حياتهم إلا ويشعر بأن روحاً جديدا دب فيه وحركة للإتيان بعظائم الأعمال ، وكثراً مادفع الناس إلى العمل الجليل حكاية قرأوها عن رجل عظيم أو حادثة رويت عنه » .

لذا عرض القرآن الكريم نماذج مشرقة ، ومثلا عليا في طلب الرضوان والثواب الأخروي فيما ذكر من قصص الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، كنوح وابراهيم وموسى وعيسى . وأصحاب الكهف ومؤمن آل فرعون ، وأصحاب النبي ﷺ .

---

(٧٦) سورة الأحزاب : الآية رقم ٢١ .

(٧٧) سيكولوجية القصة في القرآن للدكتور التهامي نفره (رسالة دكتوراه) ٥٤٣ الشركة التونسية للتوزيع - بتصرف .

(٧٨) لكتاب الأخلاق للأستاذ أحمد أمين : - ٦٥ - دار الكتاب العربي - بيروت .

ولاشك أن الرسل في المقدمة وإمامهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى بعد أن ذكر طائفة من الأنبياء : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم إقتده** ﴾(٧٩) .

وقال في ابراهيم والذين معه : ﴿ **لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخرة** ﴾(٨٠) .

وقال تعالى : ﴿ **واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدى والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار** ﴾(٨١) .

يقول البيضاوي(٨٢) : « إذا أخلصناهم بخالصه . جعلناهم خالصين لنا بخصله خالصة لاشوب فيها ، هي « ذكرى الدار ، تذكرهم للآخرة دائماً فإن خلوصهم في الطاعة بسببها ، وذلك مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله تعالى والفوز بلقائه ، وذلك في الآخرة ، وإطلاق الدار للإشعار بأنها الدار الحقيقية ، والدنيا معبر » .

الأصل الخامس : رسم منهجها :

سبق أن ذكرنا أن رسم المنهج الموصل إلى سعادة الآخرة من وسائل الترغيب في سلوكه ، حيث يجده معدا وميسرا ، بخلاف ما إذا كان مفقودا أو صعبا .

والقرآن لم يقف عند حدود ما تقدم من بيان فضل الآخرة ، وفضل السعي إليها ونصب القدوة فيها بل تعدى ذلك إلى رسم الطريق الموصل إليها ، فبين أنه الدين الذي شرعه الله لعباده بعقيدته

---

(٧٩) سورة الأنعام : الآية رقم ٩٠ .

(٨٠) سورة الممتحنة : الآية رقم ٦ .

(٨١) سورة – ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٨٢) تفسير البيضاوي : ص ٦٠٤ .

وشريعته ، وأمره ونهيه ، وسائر تعليماته وتوجيهاته ، كما بين أنه لا طريق غيره ، ولا سبيل سواه .

فالإسلام وحده هو الصراط المستقيم والمنهج الذي يحقق سعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والذي أمر الإنسان بإتباعه وترك ماعداه ، فلا يعدل بالإسلام نظاماً ولا يرضى سواه إماما ، وقد أمرنا بطلب الهداية والتوفيق إليه قال تعالى : ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾(٨٣) . ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾(٨٤) .

فمن أراد أن يحصل على الرضوان والنعيم الخالد ، فليرجع إلى الإسلام ليعرف ما كلفه الله به ، ثم ليطع ربه فيه ، وبهذا يفوز بالحسنيين . ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾(٨٥) .

ثالثاً : الشريعة :

أما الشريعة فمقوماتها - بالبحث والإستقراء خمسة :

١ - العبادات .

٢ - الأخوة والوحدة .

٣ - الأخلاق .

٤ - التشريع أو « القانون الشرعي » .

٥ - الدعوة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(٨٣) سورة الفاتحة : الآية رقم ٦ ، ٧ .

(٨٤) سورة الأنعام : الآية رقم ١٥٣ .

(٨٥) سورة النحل : الآية رقم ٩٧ .

والذي نريده الآن هو أن نحدد معانيها والعلاقة بينها .

أولا : العبادات :

للعبادة معنيان : تبين - إن شاد الله - كلا منهما ، ثم نعين المقصود هنا :

أولاً : للعبادة بالمعنى العام : هي كل طاعة مخلصة لأمر الله ونهيه ، أو بعبارة أخرى كل عمل مشروع يبتغي به وجه الله عز وجل وحده ، وهي بهذا المعنى تشمل جميع أعمال الدين ، وكل تنفيذ لأحكامه وتعاليمه بلا إستثناء .

وهذا هو المراد بقوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾(٨٦) .

يقول الإمام ابن تيمية(٨٧) : « العبادة : هي إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذا حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، هي من العبادة لله » أ. هـ .

---

(٨٦) سورة الذاريات : الآية رقم ٥٦ .

(٨٧) العبودية لابن تيمية : ص ٤ - دار الكتب العلمية - بيروت .

بل أقول : إن الإشتغال بالعلم النافع ، والإيمان بعقائد الإسلام هو رأس العبادات وأعظم الطاعات .

ويدخل في نطاق هذا المعنى العام : السعي على المعاش وعمارة الأرض ، فالزارع والصانع والتاجر والطبيب والمهندس ، والعامل والموظف وغيرهم من أصحاب المهن والحرف ،تعتبر أعمالهم عبادة ماداموا يلتزمون شرع الله – ويبتغون بها رضوانه ، كما يدخل في هذا المعنى بالشرط نفسه أعمال البر الإجتماعية بمختلف أنواعها .

* * *

ثانياً : العبادة بالمعنى الخاص : وإنما يراد هنا العبادة بمعناها الخاص ، وهي جزء معين من العبادة العامة ، ويقصد بها العبادات المخصوصة التي شرعها الله بصور وكيفيات محددة وطوى عنا الكثير من حكمها وأسرارها ، وتؤدي أساساً لحق الله ولمحض إظهار العبودية له ، والتقرب إليه وجعلت شعائر للإسلام .

وتلك هي العبادات الأربع المعروفة : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، ويتبعها الذكر وتلاوة القرآن والدعاء والاستغفار ، والصلاة على الرسول ﷺ .

هذه العبادات أو الشعائر تمثل جوهر العلاقة بين العبد وربه .

ومن هنا كانت عبادات قديمة شرعت في الديانات السابقة .

قال تعالى في الصلاة والزكاة : ﴿ **واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا** ﴾(٨٨) .

---

(٨٨) سورة مريم : الآية رقم ٥٤ ، ٥٥ .

كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ **قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا** ﴾(٨٩) .

وفي الصيام قال تعالي : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾(٩٠) .

وفي الحج قال تعالى : ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾(٩١) .

ونحن لا نعلم بالتحديد صور ولا كيفيات هذه العبادات في الديانات السابقة ، ولا يلزم أن تكون هيئاتها وأحكامها واحدة في الجميع .

ومن المؤكد أن الإسلام أتى بهذه العبادات في أفضل صورة وأتمها وأنقاها لتناسب نضج البشرية في أرقى أطوارها .

* * *

ثانياً : الأخوة :

يراد بها عاطفة المسلم القلبية ومحبته لإخوانه في الدين ، ومودته لإخوانه في الإنسانية المسالمين من غير المسلمين .

---

(٨٩) سورة مريم : الآية رقم ٣٠ ، ٣١ .

(٩٠) سورة البقرة : الآية رقم ١٨٣ .

(٩١) سورة الحج : الآية رقم ٢٧ ، ٢٨ .

وهذه العاطفة هي أساس الترابط والتماسك والوحدة بين الناس ، وهي قوام تكوين المجتمعات والأمم .

وإذا كانت العبادات هي جوهر علاقة العبد بربه ، فإن الأخوة هي جوهر علاقته القلبية بالناس .

ويتبعها عاطفة البغض في الله لمن عصى وحاد الله ورسوله ، كما قال ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب في الله ويبغض في الله ، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً »(٩٢) .

وكما قال ﷺ : « من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى ومنع الله فقد استكمل الإيمان »(٩٣) .

ثالثاً : الأخلاق :

يراد بها معاملة المسلم الحسنة لنفسه وللناس ، وإطلاق الخلق على المعاملة الحسنة المعتادة ، أمر مألوف لغة وشرعاً ، كما قال ﷺ : « إتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسن تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »(٩٤) .

وإذا كانت الأخوة هي العلاقة القلبية الطيبة بالناس ، فإن الخلق يراد به المعاملة الحسنة لهم ، وهذه المعاملة الكريمة هي مقتضى الأخوة ، ووسيلة دعمها وتنميتها .

---

(٩٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس ، الترغيب والترهيب للمنذري : ٤/ ٥ .

(٩٣) أبو داود والترمذي عن أبي أمامة بسند حسن ، الترغيب والترهيب للمنذري : ٤/ ٢٤ .

(٩٤) رواه الترمذي عن أبي ذر ومعاذ بن جبل ، وقال حسن صحيح ، الترغيب والترهيب للمنذري ٣/ ٤٠٩ .

وهذه المعاملة قوامها : العدل والإحسان ، وإجتناب الظلم والإساءة ، كما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القرب ، وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾(٩٥) .

وفي معنى هذه الآية جاء بالقرآن آيات كثيرة لا تحصى .

والعدل والإحسان أو (الفضل) يشملان كل الفضائل الخلقية :

فالعدل : هو ما يفرضه الشرع ، ويأثم تاركه ويستحق العقاب .

والإحسان أو (الفضل) : هو ما يستحبه الشرع ويندب إليه ، ولا يستحق تاركه العقاب ، بل يحرم من ثوابه فحسب .

وهاتان المرتبتان تستوعبان كل الفضائل ، وليس وراء ذلك إلا رذيلة الجور والظلم ، وقد حرمه الله على نفسه ، وجعله محرماً بين الناس يستوجب القمة والعذاب .

قال الراغب(٩٦) : « وقوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ . فالإحسان فوق العدل ، وذاك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ماله ، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له ، فالإحسان زائد على العدل ، فتحرى العدل ، واجب وتحرى الإحسان ندب وتطوع » .

ولصاحب تفصيل النشأتين كلام في معناهما أكثر شمولا ، قال(٩٧) : « الواجب يقال له العدل ، والندب يقال له الإحسان ، وهما المذكوران في قوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ . فالفرض

---

(٩٥) سورة النحل : الآية رقم ٩٠ .

(٩٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : ص ٣٩٥ – دار الفكر – بيروت .

(٩٦) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للحسين بن محمد بن الفضل ، وهو الراغب الأصفهاني : ص ٨٧ – دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر – بيروت .

والعدل تحري الإنسان لما إذا عمله أثيب وإذا تركه عوقب ، والندب والإحسان تحرى الإنسان لما إذا عمله أثيب وإذا تركه لم يعاقب ، والإنصاف من العدل والتفضل من البر والإحسان » .

وقال الإمام الرازي (١) : « إن العدل في الطاعات هو أداء الواجبات ، أما الزيادة على الواجبات فهي أيضاً طاعات ، وذلك من باب الإحسان .

شمول العدل :

جاء بتفسير القرطبي(١) : « وقال ابن العربي : العدل بين العبد وبين ربه إيثار حقه تعالى على حظ نفسه ، وتقديم رضاه على هواه ، والإجتناب للزواجر والإمتثال للأوامر ، وأما العدل بينه وبين نفسه فمنعها مما فيه هلاكها قال تعالى : ﴿ **ونهى النفس عن الهوى** ﴾ ، وعزوب الأطماع عن الإتباع ، ولزوم القناعة في كل حال ومعنى وأما العدل بينه وبين الخلق فبذل النصيحة ، وترك الخيانة فيما قل وكثر ، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه ، ولا يكون منك إساءة إلى أحد بقول ولا فعل ، لا في سر ولا في علن والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى ، وأقل ذلك الإنصاف وترك الأذى » ولاشك أن العدل في المعاملة يشمل أيضاً العدل في الحكم ، والصدق وقول الحق والوفاء ونصرة المظلوم وأداء الحقوق .

شمول الإحسان :

أما الإحسان ، فيشمل نوعين : - إحسان الصفة أو الكيفية - وإحسان الكمية .

---

(٩٨) تفسير الفخر الرازي : ١٠٣/٢٠ - المطبعة البهية المصرية - القاهرة .

(٩٩) تفسير القرطبي : ١٦٦/١٠ - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

أما إحسان الكمية ، فيراد به الزيادة في المقدار ، كأن يزيد مثلا على أداء الصلوات المكتوبة القيام بالنوافل كالرواتب وصلاة الضحى وقيام الليل .

وفي هذا يقول الإمام الرازي(١٠٠) : « الحاصل أن العدل عبارة عن القدر الواجب من الخيرات ، والإحسان عبارة عن الزيادات في تلك الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية وبحسب الدواعي والصوارف ، وبحسب الإستغراق في شهود مقامات العبودية والربوبية ، فهذا هو الإحسان » .

ويندرج تحت فضيلة الإحسان كثير من الفضائل الفرعية ، والخيرات منها القولية ، ومنها العملية ، ومنها القلبية ، ومنها المالية ، ومنها المركبة من بعض ذلك أو كله .

- فمن القولية التطوع بالتعليم والوعظ والنصح ، والكلمة الطيبة والقول الكريم والشفاعة الحسنة ، والبدء بالتحية والسلام .

- ومن العملية إماطة الأذى عن الطريق ، وأن تعين الرجل في دابته ، فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه ، وأن تعين صانعها أو تصنع لأخرق ، وأن تمشي في مصلحة أخيك ، وبشاشة الوجه والتواضع ولين الجانب ، والحلم والعفو والصفح .

- ومن المالية : إطعام الطعام والتصدق على الفقراء من غير من ولا أذى ، والمياسرة في البيع والشراء والإقتضاء ، والهبة والهدية ، والنهوض بالمشروعات المالية الإصلاحية .

- ومن القلبية إضمار الخير ونيته والعزم عليه .

---

(١٠٠) تفسير الفخر الرازي : ٢٠/ ١٠٤ .

- والمركبة من بعض ذلك أو كله : كالاصلاح بين الناس ، فإنه يمكن أن يكون بالقول والعقل والجهد والمال .

وهذه المرتبة العليا من الفضيلة الخلقية تسمى إحساناً ، وكذا تسمى « فضلاً » لما فيها من زيادة الخير على الواجب ، وقد أمرنا بها في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **ولا تنسوا الفضل بينكم** ﴾(١٠١) ، ﴿ **ويؤت كل ذي فضل فضله** ﴾(١٠٢) ، ﴿ **ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربي والمساكين والمهاجرين في سبيل الله** ﴾(١٠٣) .

والخلاصة : أن فضيلتي العدل والإحسان يشملان كل الفضائل والإخلاق الإجتماعية .

* * *

رابعاً : التشريع :

الإسلام لم يقتصر على العقيدة التي دعا إلى الإيمان بها ، ولا الشعائر التي أمر بإقامتها ، ولا الأخوة التي أصلها ، ولا الأخلاق الحسنة التي حض على إلتزامها ، بل تجاوز ذلك كله ، وبني عليه تشريعاً إجتماعياً كاملاً ، قدم الكتاب والسنة أسسه وقواعده الكبرى وكثيراً من فروعه وتفصيلاته ، وترك للمجتهدين إستنباط أحكامه وجزيئاته .

يقرر فقهاء الشريعة ، أن التشريع الإجتماعي الذي جاء به الإسلام ، يراد به القوانين والأحكام العملية التي تنظم معاملات الناس على إختلاف أنواعها .

---

(١٠١) سورة البقرة : الآية رقم ٢٣٧ .
(١٠٢) سورة هود : الآية رقم ٣ .
(١٠٣) سورة النور : الآية رقم ٢٢ .

كما يقرر فقهاء الشريعة والقانون ، وعلماء الأخلاق أن الخلق الإجتماعي السابق بيانه أوسع دائرة من التشريع والقانون ، فهو أعم منه مطلقاً ، ومعنى هذا أن التشريع والقانون نوع خاص من الخلق الإجتماعي ، ويدخل في نطاقه .

ذلك أن الخلق يتناول كل أعمال البر المتعلقة بالنفس وبالغير ، فيأمر بكل خير ونافع ، وينهي عن كل إثم ضار ، فهو مرشد يأخذ بيد الإنسان في جميع أحوال حياته الشخصية وكافة علاقاته مع غيره .

وليس كذلك التشريع ، فإنه لا يتناول من الأخلاق بالأمر أو النهي إلا الأعمال الواجبة المفروضة والمطلوبة ، التي يمكن إثبات المخالفة فيها ، وإنزال العقاب بمرتكبيها .

بشرط أن يتم الإثبات والعقاب بصورة تصلح الناس ولا تفسدهم ، أو بعبارة أدق أن يتم ذلك بصورة تكون مصلحة المجتمع فيها راجحة .

أما ما عدا ذلك من الأعمال الخلقية ، فلا يتدخل فيها القانون ، لأن ضرره حينئذ يكون أكبر من نفعه ، وإنما يتركها في مجال الأخلاق الذي لا يتعلق به تشريع لتكون تحت سلطان الضمير ، والرأي العام ، وفوق ذلك تحت سلطان الله الذي لا تخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه سر ولا علانية ، والذي يوفي كل نفس بما عملت إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

ولذا نجد كثيرا من أعمال الخير النافعة لا يأمر بها التشريع القضائي ، كالصدق والأمانة والوفاء والرحمة بالضعفاء ، بينما تأمر بها الأخلاق وتثيب عليها .

وكذا نجد كثيراً من أعمال الشر الضارة لا ينهي عنها التشريع

القضائي ، كالكذب والغيبة والوشاية والقسوة ، بينما تنهي عنها الأخلاق وتعاقب عليها .

وسبب ذلك أن تدخل القانون في هذا وأمثاله بالإثبات والعقاب يفسد أكثر مما يصلح ، كما سبق ، لأن الإثبات فيها لا يمكن الحصول عليه إلا باتخاذ الوشاة وإستعمال السعاية ، وتكثير عدد الرقباء والجواسيس ، وهذا يصيب المجتمع بالذعر والإضطراب ويشيع فيه الريبة وفقدان الثقة ، ويؤدي به إلى الضياع .

وإنزال العقاب بناء على هذه الوسائل ، يضاعف الضرر والفساد بالمجتمع ، ويعجل بنهايته .

وكذلك نجد أن التشريع ينهي عن الجرائم الظاهرة ، كالسرقة والقتل والعدوان بالسب والضرب ، ويعاقب عليها .

أما الرذائل الخفية ، كالحسد وكفران النعمة والنفاق ، والتفكير في الشر والقصد إليه ، ونحو ذلك مما تزجر عنه الأخلاق ويدخل في نطاقها ، فلا ينهى عنها التشريع القضائي ، ولا يتعرض لها ،لأنه لو تناولها لكان الضرر أشد وأفدح ، إذ لا يمكن الإثبات فيها ولا إقامة البينات عليها ، ولو عمد القاضي إلى التحقيق فيها لاثباتها ، وسلك كل سبيل ، فإنه لن يصل إلى نتيجة مطمئنة ، فضلاً عما في ذلك من التنقيب عن قلوب الناس وهتك أستارهم ، وهذه جريمة كبرى يترتب عليها أضرار مدمرة كما تقدم .

أما العقاب هنا ، فضرره أكبر وأشد ، إذ يتعرض له الأبرياء كالمذنبين ، ما دام إثبات الجريمة غير مؤكد ، بل غير ممكن .

كما يلاحظ أن الواجبات المفروضة التي يعاقب مخالفها في التشريع ،

لا يثيب هذا التشريع قضائياً على الطاعة والإمتثال فيها ، لأن السلطة البشرية القائمة على القانون لا يلزمها أن تكافيء العادلين والمحسنين ، ولا تستطيع ذلك إلا في حالات إستثنائية نادرة ، فالتشريع والقانون يعاقب من أكل حق غيره ، ولكنه لا يكافيء من أعطى غيره حقه إلا في حالات نادرة كما قلنا .

من هذا العرض التفصيلي ، نتبين أن القانون والتشريع القضائي في الإسلام جزء من الأخلاق ونوع منها ، وهذه هي العلاقة بينه وبين الخلق(١٠٤) .

خامساً : الدعوة أو الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر :

أريد هنا أن أبين العلاقة بين الدعوة والأمر بالمعروف .. والألفاظ المشابهة .. فأقول :

الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصح ، والإنذار ، والتواصي بالحق ، والصبر ، كلها في الدين بمعنى واحد ، كما يتبين ذلك مما يلي :

قال الألوسي(١٠٥) في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ . قال : « المراد من الدعاء إلى الخير ، الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي ، فعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه في قوله

---

(١٠٤) مراجع هذا الموضوع : كتاب الجريمة للشيخ أبي زهرة : ص ٢٦ - ٣١ - دار الفكر العربي - القاهرة ، وكتاب الأخلاق للأستاذ أحمد أمين : ص ١٨ - دار الكتاب العربي - بيروت ، وكتاب الدعائم الخلفية للقوانين الشرعية ، للدكتور صبحي محمصاني : ص ٣٢٩ - دار العلم للملايين - بيروت .

(١٠٥) تفسير الألوسي : ٤/ ٢١ - إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة .

سبحانه : ﴿ **ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ من باب عطف الخاص على العام إيذاناً بمزيد فضلهما على سائر الخيرات ، كذا قيل ، وقال ابن المنير إن هذا ليس من ذلك الباب ، لأنه ذكر بعد العام جميع ما يتناوله ، إذ الخير المدعو إليه ، إما فعل مأمور ، أو ترك منهي ، لا يعدو واحداً من هذين حتى يكون تخصيصهما بتمييزهما عن بقية المتناولات ،

فالأولى أن يقال فائدة هذا التخصيص ذكر الدعاء إلى الخير عاماً ثم مفصلاً ، وفي تثنية الذكر على وجهين مالا يخفى من العناية » .

أقول : وهذا الرأي هو الذي يقنع العقل ، وتطمئن إليه النفس ، ويؤيده **قول الإمام الفخر الرازي** في ذلك(١٠٦) : « الدعوة إلى الخير جنس تحته نوعان : **أحدهما** : الترغيب في فعل ما ينبغي ، وهو الأمر بالمعروف ، الثاني : الترغيب في ترك مالا ينبغي ، وهو النهي عن المنكر ، فذكر الجنس أولا ، ثم أتبعه بنوعيه مبالغة في البيان » .

هذا ، والنصح أصل معناه لغة الخلوص من الشوائب ، ويراد به وبالنصيحة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال صاحب التعريفات(١٠٧) : « النصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح ، والنهي عما فيه الفساد » .

ومن ذلك ما حكاه القرآن عن نوح بقوله : ﴿ **أبلغكم رسالات ربي وانصح لكم** ﴾(١٠٨) .

---

(١٠٦) تفسير الفخر الرازي : ٨/٠-١٦٧ .
(١٠٧) التعريفات للسيد الشريف الجرجاني : ص ٣٠٩ – الدار التونسية للنشر – تونس .
(١٠٨) سورة الأعراف : الآية رقم ٦٢ .

جاء بتفسير الألوسي(١٠٩) : « المعنى هنا أبلغكم أوامر الله ونواهيه ، وأرغبكم في قبولها ، وأحذركم عقابه إن عصيتموه » .

وكذلك الإنذار في لغة القرآن يفيد معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول الإمام ابن تيمية(١١٠) : « نفس الإنذار أمر بالمعروف ونهى عن المنكر » .

بل لقد عبر القرآن عن مهمة الأنبياء مع الإنذار بمصطلحات التبشير والتبليغ والتذكير ونحوها ، وكلها تفيد معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١١١) أ . هـ .

وكذلك التواصي بالحق والصبر ، هو الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، بيد أنه يكون بين المؤمنين خاصة ، كما يظهر من إستعمال القرآن . قال تعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾(١١٢) .

جاء بتفسير الشوكاني(١١٣) : « وتواصوا بالحق » أي وصى بعضهم بعضاً بالحق الذي يحق القيام به ، وما ذكره الشوكاني هو معنى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وقد جاء بتفسير المنار أن الشيخ محمد عبده قال(١١٤) : « إن التواصي هو الأمر والنهي » .

ويؤيد كل ما ذكر أن الإرشاد إلى الخير والحث عليه ، إما أن يكون

---

(١٠٩) تفسير الألوسي : ٨/١٥٢ .

(١١٠) الحسبة في الإسلام ، لابن تيمية : ص ٧١ – دار الفكر – بيروت .

(١١١) راجع كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ألفه بالأردية السيد جلال الدين العمري . نائب رئيس لجنة التصنيف والتأليف للجماعة الإسلامية بالهند ، ونقله إلى العربية محمد أجمل أيوب الإصلاحي : ص ٨١ – شركة الشعاع للنشر – الكويت .

(١١٢) سورة العصر .

(١١٣) فتح القدير للشوكاني : ٥/٦٩٩ – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت .

(١١٤) تفسير المنار محمد رشيد رضا : ٤/٢٧ – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت .

ترغيباً في فعل ما ينبغي ، وهو الأمر بالمعروف أو ترغيباً في ترك مالا ينبغي ، وهو النهي عن المنكر ، كما سبق في كلام الألوسي والفخر الرازي ، والله أعلم .

ويلاحظ أن هذا هو جانب جهاد المسلم في سبيل إصلاح الناس وبرهم ودعوتهم للعمل بمنهج الله كي ينجوا من عذابه ، ويفوزوا برضوانه ، وتلك هي الخدمة الجليلة التي يؤديها المسلم للمجتمع والإنسانية ، وتلك هي علاقة هذا الركن بسائر مقومات الشريعة . .

* * *

من هذا العرض ، تظهر العلاقات بين مقومات الشريعة كالآتي :

أولاً : العبادات : تمثل جوهر العلاقة بين العبد وربه .

ثانياً : الأخوة : هي العاطفة القلبية بين المسلم والناس .

ثالثاً : الأخلاق : هي العلاقة العملية بينه وبين الناس .

رابعاً : التشريع : نوع من هذه العلاقة العملية .

خامساً : الدعوة : هي جهاده في سبيل إصلاحهم وتطبيقهم لتعاليم الإسلام .

نتائج البحث :

لهذا البحث نتائج هامة ، نوجزها فيما يلي :

أولاً : إعطاء تصور شامل لمباديء الإسلام ومقوماته الرئيسية ، ويبرز ما فيه من كمال وإتساق وإحكام ليكون الدارس على بينة من أمر دينه ملماً بجوانبه إلماماً صحيحاً تاماً .

ثانياً : أن يشكل قاعدة ومنطلقاً لدراسة المواد الشرعية المختلفة على هداه ، كما يستطيع الباحث على ضوئه أن يرد أي مادة أو مسألة شرعية إلى الأصل المبدئي الذي تنتمي إليه وتنضوي تحت لوائه ، أي يمكنه من تأصيل هذه المواد والمسائل .

ثالثاً : أن يكون ميزاناً ومعياراً لفهم المثقف لمباديء الدين ، بحيث يدرك ما في معرفته من كمال أو قصور .

رابعاً : أنه يعالج ويصحح ما قد تكون في معرفة المتعلم لجوانب الإسلام من خلل أو قصور واضطراب أو عدم ترابط واتساق .

خامساً : أن يمكن دراسة من الدعوة إلى الدين الصحيح الشامل على بصيرة ، مع رعاية تقديم الأولويات والأساسيات .

سادساً : أنه يمكن الأجانب غير المسلمين من الإحاطة بمقومات الإسلام بصورة واضحة مشرقة وبأيسر السبل وأقصرها وأقومها .

وفي الختام .. أحمد الله على الهداية والتوفيق ، وأستغفره من كل خطأ وتقصير ، وأسأله الرضا والقبول وعموم النفع للمستبصرين ..

والحمد لله رب العالمين ..

* * *

﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون .. وسلام على المرسلين .. والحمد لله رب العالمين ﴾ .

المراجع

١ – القرآن الكريم .

٢ – السنة النبوية .

٣ – تفسير أبي السعود – مكتبة الرياض الحديثة – الرياض .

٤ – تفسير البيضاوي – دار الجيل – بيروت .

٥ – تفسير الألوسي – دار الطباعة المنيرية – القاهرة .

٦ – حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي – دار صادر – بيروت .

٧ – مذكرات التوحيد للشيخ صالح شرف الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر – المطبعة الفاروقية الحديثة – القاهرة .

٨ – شرح جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم الباجوري .

٩ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني ، أشرف على طبعه محب الدين الخطيب .

١٠ – العقيدة الطحاوية لابن أب أبي العز الحنفي – المكتب الإسلامي – بيروت – ط ٤ .

١١ – أصول الدين للإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي – مكتبة الهلال – بيروت : ط ٢ .

١٢ – تاريخ التشريع للشيخ محمد الخضري – المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة – ط ٧ .

١٣ – كتاب الدين للدكتور محمد عبد الله دراز – دار القلم – الكويت – ط ٢ .

١٤ – تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي – دار الفكر – بيروت .

١٥ – المختار من كنوز السنة للدكتور محمد عبد الله دراز – مطبعة هاشم الكتبي . دمشق .

١٦ – كتاب العبادة في الإسلام لـلدكتور يوسف القرضاوي – مؤسسة الرسالة – بيروت .

١٧ – تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى) للشيخ محمود شلتوت – دار الشروق – القاهرة .

١٨ – إغاثة اللهفان لابن القيم – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت .

١٩ – فلسفة الأخلاق في الإسلام للدكتور محمد يوسف موسى – مؤسسة الخانجي – القاهرة .

٢٠ – مدارج السالكين لابن القيم – دار الكتاب العربي – بيروت .

٢١ – إحياء علوم الدين للأمام الغزالي – دار الفكر – بيروت .

٢٢ – معالم الدعوة في قصص القرآن (رسالة دكتوراه) بقلم عبد الوهاب بن لطفي الديلمي – دار المجتمع – جده .

٢٣ – تفسير فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني – دار الفكر – بيروت .

٢٤ – تفسير الخازن – دار المعرفة – بيروت .

٢٥ – سيكلوجية القصة في القرآن الكريم (رسالة دكتوراه) للدكتور التهامي نفره – الشركة التونسية للتوزيع – تونس .

٢٦ – كتاب الأخلاق للأستاذ أحمد أمين – دار الكتاب العربي – بيروت .

٢٧ – العبودية لابن تيمية – دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٨ – معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغي الأصفهاني – دار الفكر – بيروت .

٢٩ – تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني – دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر – بيروت .

٣٠ – تفسير الفخر الرازي – المطبعة البهية المصرية – القاهرة .

٣١ – تفسير القرطبي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣٢ – الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية – للمحامي الدكتور صبحي محمصاني – دار العلم للملايين – بيروت .

٣٣ – كتاب الجريمة للشيخ أبي زهرة – دار الفكر العربي – القاهرة .

٣٤ – التعريفات للسيد الشريف الجرجاني – الدار التونسية للنشر – تونس .

٣٥ – الحسبة في الإسلام لابن تيمية – دار الفكر – بيروت .

٣٦ – كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – ألفه بالأردية السيد جلال الدين العمري – نائب رئيس لجنة التصنيف والتأليف للجماعة الإسلامية بالهند ، ونقله إلى العربية محمد أجمل أيوب الإصلاحي – شركة الشعاع للنشر – الكويت .

٣٧ – تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت .